صوت المرأة المسلمة

العدد : ١٩٠ الموافق في محرم ١٤١٨ هجري ٦ / ١٩٩٧ ميلادي

عنوان المقال : طربوش التاسع عشر	بقلم : سها عبد الحميد أحمد

إن الغرب العادل الناضج لم تعد تخدعه أكذوبة الإعلام.

لتقنعه أن الجهل والظلم والإرهاب من تعاليم الإسلام.

وطفل اليوم لم يعد يقتنع بتاتاً أن يتمتع بألعاب الستينات.

وأنثى الساعة أصبحت تعصي أمر أمها بأن تخدع القاضي في كبر سنها ؛ فتحشو صدرها ليفاً وتلبس حذاءً يزيد من طول قامتها شبراً ، ويوقّع الحاكم عقد زواجها مخدوعاً.

وبطل ثلاثية نجيب محفوظ الذي ترتعد أرجاء المنزل رعباً من صرخة أنا الرجل... أنا الآمر الناهي... كان في عصره بطلاً وصار قزماً خرافياً لم يعد موجوداً إلا في بيوت نادرة معتمة لا تجد فيها أذناً سمعت قول سليمان

ولا عقلاً أدرك مضمون بلقيس

وإذا كان العالم بأسره قد آن له أن يكف عن دفن حقيقة الإسلام في المقبرة التي ما عدت تعرف لها حدوداً وتعجز أن تقدر لها عمقاً ، فالأولى أنه قد آن لنا كمسلمين أن نطرد النواحات من عقر دارنا ، ونكف عن العويل الذي لا يحرك جذراً ولا يعيد ورقة قد تساقطت من غصنها... ونرفض هذه المراسيم والطقوس البلهاء في تقبل التعازي على فقداننا لكل قيّم وغال كان لنا وفينا ومعنا... وننهض فهناك من المعوقين المرميين على أرض سوق الحميدية وعلى عتبات أبواب المسجد الأموي ومقام السيدة زينب... أصبحوا من معالم الآثار القديمة صادقين كانوا أم كاذبين... تعرفهم جيداً حتى ولو مر الزمن... حتى ولو غزا الشيب رؤوسهم كما غزت الحكومات على اختلاف نوعياتها بلاداً وأمماً... لا يزالون بدون أقدام يزحفون على الأرض كزحفنا لنلحق القوافل الناهضة المتلهفة للعافية المتمردة على الأسقام المفروضة على أجسادنا وأرواحنا في أن نعيش أوجاعها رغم أن فيروساتها لا تملك لدخولنا سبيلاً ، وهناك من المعوقين من يمارسون حياتهم بإصرار لا يقفون عند أعضائهم الناقصة ولا جراحاتهم الدامية...

ولو أن رجلاً داعبته ذكرى أجداده ورمى الطربوش الأحمر على رأسه ومسك عصاه وأسدل سرواله على جسده وأراد أن يستعرض لزوجته رهبة تلك الصورة ممنياً نفسه بنظرة الهيبة في عينيها وكلمة إعجاب من شفتيها سيجدها تقهقه طويلاً حتى تسيل دموعها وتقول له... شكلك مضحك.

بينما كانت جدته تشعر بروعة احمرار الطربوش

وعظمة سواد السروال

وتحترم قبضة أصابعه على معصم عصاه

لقد تغيرت الموازين والمعايير ، إن أموال أصحاب الرقيم هي التي كشفت لهم الحقيقة فعرفوا أنهم لبثوا في كهفهم ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعاً.

كانت دنانير يشترون بها لحماً وفاكهة

وغدت سر اكتشافهم فطابقتهم وأصبحت مثلهم أثرية

إن الجمهور ما عاد يصفق بنفس الحرارة لمسرحيات شكسبير ؛ يريد نصوصاً فيها الجديد الذي يساير زمنها الحاضر ، وأقل العقول نضجاً ووعياً وأضعف المشاعر تذوقاً أصبحت تفرق بين الأمس واليوم والغد ، ما عادت الملاءة الزم رمزاً للحشمة وكمال الأخلاق ، وما زالت السياسة بحكامها وأحكامها وشعوبها تجتر ميلادها وتصر على إنجاب الأجيال المكررة.

تغيرت أبواب السجون ولم تختلف هويات المساجين. مات الجلادون القدامى ولا تزال السياط مصرة على ضرباتها الدسمة المدمنة على سماع الصراخ المعتق. وتغير الخطباء وما تغير بالخطب إلا ضعف عربيتها وكثرة اللحن فيها ، وتعثر الأخطاء الإملائية بخطوط سطورها.

مازالت سياسة الدول الناطقة بالفصحى التي اغتصبوا فيها العين والضاد فسالت دماؤها لتخط مئة لهجة عامية. مازال الذين يدعون أنهم سياسيون قادرون على القيادة كالمغنية التي ازدحمت التجاعيد على صفحات جبينها وتساقط حتى الأبيض من خصلات شعرها ونحلت قدماها وتقلص محيط نضارتها ولا تزال مصرة على أن تقفز على المسرح كالبهلوانة ، لا تبالي بدبيب قدميها الثقيلتين على أسماع المتفرجين ، وتحبس سعالها الأسير مسجوناً وراء قضبان صوتها الذي انضم إلى قاموس أصوات القواعد من النساء ، معتقدة أنها لا تزال فناً له جمهوره.

ولقد حان حصاد الأيادي التي ما تزال تصفق فماذا بعد

أي التوابيت توابيتنا الصابرة

أي المقابر... مقابرنا القنوعة

أي الأكفان... أكفاننا المهترئة

أي المنابر... منابرنا البدعة

وأي الشعوب... شعوبنا المخدرة

التوأم هو الحاكم والمحكوم ، يحتاج إلى تجديد مشيمته المسمومة ، ولن يكون هذا الزرع الجديد والإصلاح الملح إلا بالمنهج الذي رسمه عالم السماء والأرض ، ورب الحاكم والمحكوم ، وواهب المنهج العادل للقادة والتبع ، والقاهر للطاغية والمنصف والمقهور.

فكفي يا سياسة حمقاء ، واهبطي أيتها المغنية الواهنة ، فمكانك في مأوى العجزة بلهفة إليك محجوز باسمك.

وكفانا نُدون أحداث فسيفساء ، فلقد حان الوقت لأن نجهر بإسلامنا كعلم وخلاص ، ونصرخ بوجه كل ما ينافي مضمونه وتعاليمه... لا

نعم نقو